الفصل الرابع

ترتيل القرآن

- الترتيل معناه وأركانه
- صور التلاوة
- التجويد
- مخارج الحروف وصفاتها

ترتيل القرآن

بين لنا رب العالمين في كتابه الكريم الأسلوب القويم الذي نتلو به كتابه ؛ لتتحقق لنا الثمرة المرجوة من تلاوته فقال تعالى : ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلاً ﴾[1] وقال جل شأنه مخاطباً نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾[2] .

فالقراءة على مكث أي ، بتأنٍّ وتمهل هي الترتيل .

معنى الترتيل :

قال الجوهري : الترتيل في القراءة الترسل فيها والتبيين بغير بغي ، وكلام رَتِل بالتحريك أي مرتل وثغر رَتَل أيضاً إذا كان مستوى الثنيات ، ورجل رَتِل مثل تَعِب بَيِّن الرتَل أي مُفَلّج الأسنان[3] .

وفي القاموس المحيط : الرتل محركة حسن تناسق الشيء .

قال ابن عباس في تفسير « رتل القرآن » بينه ، وقال (مجاهد) :

---

(١) الإسراء/ ١٠٦ .

(٢) سورة المزمل/ ٤ .

(٣) الصحاح مادة (رتل) .

تأن فيه ، وقال الضحاك : انبذه حرفاً حرفاً ، أي تلبث في قراءته ، وتمهل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده[1] .

من خلال هذه التفسيرات سواء أكانت لغوية أم مأثورة يستبين لنا أن الترتيل يعني البيان والوضوح بحيث تخرج الحروف من ومخارجها، وتؤدي أداء جيداً ، ويتحرى الوقف الملائم ونحو هذا ، وقد سئل علي رضي الله عنه عن الآية ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ فقال : الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف .

قال ابن الجزري : الترتيل مصدر رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير عجلة ، وقد نزل القرآن الكريم بالترتيل ، فقال تعالى : ﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾[2] ، وروى ابن الجزري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل »[3] .

ولأهمية الترتيل لم تكتف الآية بمجرد الأمر عن طريق الفعل وإنما أكده بالمصدر ، تعظيماً لشأنه ، وليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن ، وتفهمه .

قراءة النبي صلى الله عليه وسلم .

وصفت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم حتى إن الراوي عنها يقول : فإذا هي مفسرة حرفاً حرفاً[4] كما روى ابن أبي مليكة عن أم

---

(١) النشر ج ١ ص ٢٩٦ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) النشر ج ١ ص ٢٩٦ .
(٤) القطع والائتناف لابن النحاس ص ٨٦ والحديث رواه الترمذي ج ٤ ص ٢٥٤ عن يعلي بن مملك أنه سأل أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قراءة النبي .

سلمة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته أي يقف على رؤوس الآيات .

كما جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنه : أنه تنزل السورة من القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم « فتعلم حلالها ، وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن »[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها حتى أصبح ، وهي قوله تعالى : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾[2].

وعن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : كانت مدا، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم[3] .

من خلال هذه النصوص نتبين معالم القراءة النبوية ، كما يلي :

أ ـ إخراج الحروف من مخارجها إخراجاً دقيقاً .

ب ـ تخير الوقف الملائم .

د ـ مراعاة المد ، وتجويد الحروف .

هـ ـ التأمل والتدبر .

نخلص من هذا الى أن الترتيل كما فسره على ابن أبي طالب رضي الله عنه له ركنان :

١ ـ تجويد الحروف .

٢ ـ معرفة الوقوف .

---

(١) القطع والائتناف ص ٨٧ .

(٢) رواه النسائي وابن ماجة ، والآية من سورة المائدة/ ١١٨ .

(٣) رواه البخاري ، وراجع النشر ج ٢ ص ٢٩٧ .

وسنتحدث عن كليهما فيما بعد .

أنواع القراءة

ذكر صاحب النشر ثلاثة أنماط لقراءة القرآن هي :

١ ـ التحقيق ٢ ـ الحدر ٣ ـ التدوير

التحقيق :

وهو الإتيان بالشيء على حقه دون زيادة أو نقصان ، فهو بلوغ حقيقة الشيء ، والوقوف على كنهه .

والظواهر القرائية لهذه الطريقة تتمثل في : إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد ، وتحقيق الهمزة ، وإتمام الحركات ، واعتماد الإظهار والتشديدات ، وتوفية الغُنات ، وتفكيك الحروف ، وهو بيانها ، وإخراج بعضها من بعض بالسكت ، والترسل ، واليسر ، والتؤدة ، وملاحظة الجائز من الوقوف[1] وتتم كل هذه الظواهر دون مبالغة .

والذين قرءوا بالتحقيق حمزة ، وورش من غير طريق الأصبهاني عنه

وقرأ به قتيبة عن الكسائي .

وقرأ به بعض المصريين عن الحلواني عن هشام ، وأكثر العراقيين عن الأخفش عن ابن ذكوان .

وذكر ابن الجزري إسناداً لهذه القراءة يبدأ منه ، وينتهي بأبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلق أبو عمرو الداني من قبل على هذا الحديث بأنه غريب « لا أعلمه يحفظ إلا من هذا الوجه ، وهو مستقيم الإسناد »[2] .

---

(١) النشـــر ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٥ .

٢ ـ قراءة الحدر :

هو من حدَر يحدُر (من باب نصر) إذا أسرع ، فهو من الحدور أي الهبوط ؛ لأن الإسراع من لوازمه على عكس الصعود ، فهي قراءة تتسم بالأداء السريع ، وتتلاءم مع من يريدون الإكثار من القراءة رغبته في مزيد من الأجر .

وظواهرها القرائية تتمثل من : إدراج القراءة وسرعتها ، وتخفيفها بالقصر والتسكين ، والاختلاس ، والبدل ، والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمزة ، ونحوها من الظواهر اللغوية التي وردت القراءة بها مع إيثار الوصل ، وإقامة الإعراب ، ومراعاة تقويم اللفظ ، وتمكن الحروف .

والقراءة بالحدر مذهب ابن كثير وأبي جعفر ، وسائر من قصر المنفصل كأبي عمرو ، ويعقوب وقالون ، والأصبهاني عن ورش ، وكالولي عن حفص ، وأكثر العراقيين عن الحلواني عن هشام[١] .

٣ ـ قراءة التدوير :

فهو عبارة عن التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر .

وقد وردت هذه القراءة عن أكثر الأئمة ممن روى من المنفصل، ولم يبلغ فيه إلى الإشباع .

وهو مذهب سائر القراء ، وصح عن جميع الأئمة ، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا تنثروه ـ يعني القرآن ـ نثر الدقل ، ولا تهزوه هزَّ الشعر . وجاءه رجل فقال قرأت المفصل الليلة من ركعة ، فقال : هزّاً كهز الشعر .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٦ .

أي الأنواع الثلاثة أفضل ؟

ذهب بعضهم إلى أن كثرة القراءة أفضل ، ومعنى هذا أنهم يؤثرون الحدر على التحقيق محتجين بحديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها[1] كما ذكروا آثاراً كثيرة عن السلف في كثرة القراءة .

والذي عليه معظم السلف والخلف أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها ؛ لأن المقصود من القرآن الكريم فهمه وتدبره ، والتفقه فيه ، والعمل به ، كما قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته ﴾[2] والتلاوة والحفظ وسيلة إلى فهم المعنى ، الذي يلزم المسلم بالعمل والتنفيذ .

وقراءة التحقيق أدنى هذه الأنماط الثلاثة الى الترتيل .

وإذا نظرنا إلى خصائص قراءة النبي صلى الله عليه وسلم التي استنتجناها آنفاً نراها أقرب إلى قراءة التحقيق أيضاً ؛ إذ تتجه إلى إيضاح المعنى وإبرازه .

وحديث ابن مسعود ليس فيه حث على الإسراع ، وإنما فيه بيان للثواب العظيم في القراءة ، والذي يضاعفه الله للقارىء المحسن القراءة ، المستفيد منها في عمله وسلوكه .

وسئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة والآخر البقرة وآل عمران في الصلاة ، وركوعهما ، وسجودهما واحد ؟ فقال : الذي قرأ البقرة وحدها أفضل[3] .

---

(١) رواه الترمذي وصححه ، ورواه غيره « بكل حرف عشر حسنات » .

(٢) سورة ص / ٢٩ .

(٣) لنشر ج ٢ ص ٢٩٧ .

وقد أسلفنا حديث أبي الدرداء الذي روى فيه ترديد النبي صلى الله عليه وسلم لآية واحدة حتى الصباح.

وروى ابن الجزري عن محمد بن كعب القرظي قوله : لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿ إذا زلزلت الأرض ـ والقارعة ﴾ لا أزيد عليهما ، وأردد فيهما ، وأتفكر أحب إلى من أن أهُزَّ القرآن هزًّا[1] .

ويقول أبو حامد الغزالي : واعلم أن الترتيل يستحب لا لمجرد التدبر ، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب الى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال[2] .

بين الترتيل والتحقيق :

أهناك فرق بينهما ؟ نقول على ضوء ما سبق : الترتيل أعم من التحقيق ، وهو يلائم من يقرأ للتدبر ، والتفكر ، والاستنباط ، أما التحقيق فيكون للتعليم والتمرين ، وترويض النشء على القراءة الصحيحة[3] .

وعلينا الآن أن نتناول ركنى الترتيل اللذين أشرنا إليهما ، وهما : التجويد والوقف .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٨ .

التجويـد

التجويد مصدر جوَّد يجوّد إذا أدى العمل بإتقان وإحسان .
والاسم منه الجودة وهي ضد الرداءة .

والمراد به في اصطلاح القراء : الأداء الجيد لحروف القرآن الكريم وكلماته مع بيان ووضوح ، وإعطاء كل حرف حقه ، ورده إلى مخرجه ، ومراعاة الصورة الملائمة في نطقه مع مجاوره ، وإعراب ألفاظه ، ومراعاة الحدود بمقاديرها الزمنية المناسبة . كل ذلك من غير إسراف ولا تعسف ، وبدون إفراط أو تكلف .

والتجويد حلية التلاوة وزينة القراءة ، وقد حرص عليه الأسلاف .

وقد أعطى عبد الله بن مسعود حظاً عظيماً في تجويد القرآن وترتيله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب سماع القرآن منه ، وكانت تبكيه قراءته أحياناً ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل ، فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعني عبد الله بن مسعود .

كما روى ابن الجزري بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال : صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ووالله لوددت أن قرأ بسورة البقرة من صوته وترتيله[1] .

يقول ابن الجزري : وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجوداً ، مصححاً ، كما أنزل ، تلتذ الأسماع بتلاوته ، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد يسلب العقول ، ويأخذ بالألباب ، سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه . ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن

---

(١) النشر ج ٢ ص ٣٠١ .

له حسن صوت ، ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيماً باللفظ ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع ، وأخذ من القلوب بالمجامع ، وكان الخلق يزدحمون عليه ، ويجتمعون على الاستماع إليه ، أمم من الخواص والعوام ، يشترك في ذلك من يعرف اللسان العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان[1] .

والتجويد أبعد ما يكون عن التكلف في النطق ، والتعسف في الأداء ، يقول أبو عمرو الداني ، مشيراً إلى الصور المرفوضة في الأداء ، والتي ينبغي أن ينأى عنها القراء : فليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات ، قراءة تنفر منها الطباع ، وتمجها القلوب والأسماع ، بل القراءة السهلة العذبة ، الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ، ولا لَوْك ، ولا تعسف ، ولا تكلف ، ولا تصنع ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب ، وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء[2].

والوصول إلى المستوى الصحيح من تجويد القرآن ، يتطلب مزيداً من الدربة ، والمران ، والتلقي عمن يحسن الأداء ، وكلما أمعن القارىء في الدربة ، والرياضة على القراءة الصحيحة ، بعيدة عن مساوىء التكلف وصل ما يريد من التجويد .

وبجانب هذا كله فإن قراءة القرآن عبادة تتطلب حسن النية ، وإخلاص العمل ، والرغبة الصادقة في التقرب إلى الله بتلاوة كتابه ، والعمل بما فيه ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠٢ .

(٢) النشر ج ٢ ص ٣٠٣ .

به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾[1] .

وحق التلاوة هو العمل والتنفيذ .

ومن خلال ما أسلفناه من كلام أئمة القراء عن « التجويد » يتبين لنا أنه يقوم على مراعاة الأمور الصوتية التالية .

أ ـ معرفة مخارج الحروف ، وإخراج كل حرف من مخرجه الصحيح .

ب ـ معرفة صفات الحروف ، ليأخذ كل حرف صفته التي تميزه عن غيره من الحروف التي تشاركه في المخرج .

جـ ـ مراعاة الإظهار ، والإخفاء ، والإدغام ، والإقلاب بصورها المتعددة شفوية كانت أو حلقية . وقضايا التفخيم والترقيق .

د ـ المد ، وأسبابه ، وأنواعه ، والمدى الزمني لكل نوع من هذه الأنواع .

وقد دونت منذ مدى بعيد كتب في تجويد القرآن الكريم ، وهي في جوهرها دراسات صوتية تتناول قضايا النبر ، والتزمين ، ومخارج الحروف ، وصفاتها ونحو ذلك مما يؤكد أن العرب أسبق من بحث في هذه القضايا اللسانية .

ومن هذه المؤلفات : مؤلفات تناولت مسائل التجويد والأداء بين ما تناولته من موضوعات القراءات تأريخاً وأصولاً وفرشاً مثل : الكشف لمكي بن أبي طالب ، والإقناع لأبي جعفر بن الباذش وغيرهما .

وقد عرض ابن الجزري في كتابه النشر أبواباً من التجويد ، وله مؤلفات خاصة بالتجويد .

---

(١) راجع الكشف ج ١ ص ١٧ ، ٢٤ .

وأقدم ما ألف في التجويد بخاصة ـ فيما أعلم ـ قصيدة أبي مزاحم الخاقاني المتوفى سنة ٣٢٥ هـ ونشرت محققة بعناية الدكتور عبد العزيز القاري .

ومنها : الرعاية لتجويد القراءة، وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب[١] .

ومنها : كتاب جمال القراء ، وكمال الإقراء قصيدة نونية لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفي سنة ٦٤٣ هـ قال عنه ابن الجزري : وهو غريب في بابه جمع أنواعاً مما يتعلق بالقراءات ، والتجويد والوقف والابتداء[٢] .

وهذا المؤلف هو بنفسه عروة المفيد[٣] ، وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد ، جمعه الدكتور عبد العزيز القاري مع قصيدة أبي مزاحم في مؤلف واحد .

ثم تكاثرت المؤلفات فيما بعد في علم التجويد خاصة ، وغلب على أكثرها طابع النظم ، مثل : متن الجزرية ، وتحفة الأطفال ، ثم أخذ المحدثون يشرحون هذه المتون مثل : ملخص العقد الفريد في فن التجويد للشيخ علي أحمد صبره سنة ١٣٣١ هـ والاتقان في تجويد القرآن للشيخ محمد الصادق قمحاوي .

والدرس اللغوي الحديث توفر على دراسة التجويد باعتباره يمثل جهود العرب في الدراسات الصوتية .

---

(١) راجع الكشف ج ١ ص ١٧ ، ٢٤ .

(٢) النشر ج ١ ص ١٦٥ محبس .

(٣) راجع كشف الظنون ج ٢ ص ١١٧١ وما بعدها ، والسيوطي في الاتقان ج ١ ص ١٣٣ الحلبي .

وقد تناولت في هذا الكتاب فصولاً من التجويد عند الحديث عن الأصول .

فتحدثت في الأصول عن الوقف قضية واحدة سواء ما يتصل منه بالقراءات أم ما يتصل منه بالتجويد ، ونحو ذلك فعلت في الحديث عن التفخيم والترقيق ، والإظهار والإدغام .

لكني هنا أقدم حديثاً موجزاً ووافياً عن قضيتين من قضايا التجويد وهما :

١ ـ مخارج الحروف .

٢ ـ صفات الحروف .

مخارج الحروف

حروف الهجاء في اللسان العربي ، أو الأصوات خمسة وثلاثون حرفاً .

ماله صورة منها ترسم تسعة وعشرون حرفاً[١] .

أما الحروف التي لا ترسم فهي ستة : الهمزة بين بين ، والألف الممالة ، وألف التفخيم والحرف المعترض بين الشين والجيم ، والحرف المعترض بين الزاي والصاد ، والنون الخفيفة[٢] .

وسنشير بإيجاز إلى مخارج هذه الحروف ، ليسير القارىء على

---

(١) قال سيبويه : فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً : الهمزة والألف والهاء . . . ، الكتاب ج ٢ ص ٤٠٤ ويرى المبرد أنها ثمانية وعشرون حرفاً ، فلا بعد منها الهمزة . المقتضب ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) في الكتاب أوصل سيبويه الأصوات والحروف إلى اثنين وأربعين حرفاً منها المستحسن وغيره ، وهذه الحروف كلها ترجع إلى التسعة وعشرين حرفاً ، الكتاب ج ٢ ص ٤٠٤ .

هديها في تجويد الأداء للكتاب العزيز .

أ مخارج الحلق : للحلق ثلاث مخارج فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف ، ويليها في البعد مخرج الهاء .

ويليه المخرج الثاني ، وهو مخرج الحاء والعين (وهو وسط الحلق) .

والثالث : أدنى الحلق مما يلي الفم ، وهو مخرج الخاء والغين .

وهذه الحروف الستة هي المعروفة بحروف الحلق .

ب ـ اللسان والفم وفيهما عشرة مخارج .

١ ـ أقصى اللسان ـ أي أبعده مما يلي الحلق ، وما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ويخرج منه القاف .

٢ ـ أقصى اللسان ـ مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى تحت مخرج القاف ، ويخرج منه الكاف وهذان الحرفان يقال لهما : لَهَوِيَّان لخروجهما من قرب اللهاة .

٣ ـ وسط اللسان : مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ويخرج منه الجيم والشين والياء وتسمى هذه الحروف شجرية لخروجها من « شجر » اللسان أي منفتحة[١] .

٤ ـ إحدى حافتي اللسان ، وما يحاذيها من الأضراس العليا ـ تخرج منها الضاد ، المعجمة وخروجها من الجهة اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً ، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالاً ، ومن الجانبين أشد عسراً ؛ ولذا فهي أصعب الحروف مخرجاً[٢] .

---

(١) راجع الكتاب ج ٢ ص ٤٠٥ .

(٢) راجع المبرد ج ١ ص ١٨٣ المقتضب ، يقول عن الضان : مخرجها من الشدق فبعض الناس تجرى له في الأيمن ، وبعضهم تجري من الأيسر .

٥ ـ ما بين حافتي اللسان معاً ، بعد مخرج الضاد ، وما يحاذيها من اللثة أي لحمة الأسنان العليا ، يخرج منه اللام ، وخروج حرف اللام من الحافة اليمنى أمكن عكس الضاد .

٦ ـ طرف اللسان ، وما يحاذيه من لثة الأسنان العليا تحت مخرج اللام قليلاً تخرج النون المظهرة بخلاف المدغمة ، والمخفاة ، فمخرجها الخيشوم[1] .

٧ ـ طرف اللسان مع ظهره مما يلي رأسه ، ويخرج منه الراء ، وهو أدخل إلى ظهر اللسان من النون وتسمى الحروف الثلاثة (اللام ـ النون ـ الراء) زلقية لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه .

٨ ـ طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ، وتخرج منه الطاء والذال والثاء ، وتسمى هذه الحروف لِثَوِيّة لخروجها من قرب اللثة .

٩ ـ طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا والسفلى ، قريبة إلى السفلى ، مع انفراج قليل بينهما ، وتخرج منه الصاد فالسين فالزاي ، وتسمى هذه الحروف أَسَلِيّة من أسلة اللسان ، أي مستدقة .

١٠ ـ ظهر اللسان من جهة رأسه ، وأصل الثنيتين العليين ، ويخرج منه الطاء فالدال المهملتان فالتاء المثناة الفوقية .

جـ ـ الشفقان .

١١ ـ بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا ، ويخرج منه الفاء .

١٢ ـ الشفتان معاً ، ويخرج منهما الباء الموحدة والميم والواو إلا أنهما بانطباق مع الميم والباء ، وانفتاح مع الواو تسمى هذه الحروف شفوية لخروجها من الشفة .

د ـ الجوف .

١٣ ـ وهو الخلاء الداخل في الحلق والفم ، ويخرج منه حروف المد الثلاثة : الألف ولا تكون الا ساكنة ، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، واليا الساكنة المكسور ما قبلها ، وتسمى هذه الحروف بالجوفية أو الهوائية .

هـ ـ الخيشوم .

١٤ ـ الخيشوم وهو خرق الأنف ، المنجذب الى الداخل فوق سقف الفم ، وليس بالمنخر ويخرج منه الخنة ، والنون المدغمة والمخفاة كما أشرنا .

فالمخارج الفرعية كما رأينا سبعة عشر ، وهي موزعة على خمس مخارج رئيسة في منطقة الفم ومن كل منها يخرج حرف أو أكثر .

ومعرفة هذه المخارج ، وملاحظتها في النطق والأداء أكبر عون على تجويد التلاوة ، وتحقيق معنى الترتيل ، كما أنها من ناحية أخرى تحافظ على الخصائص الصوتية للسان الغربي .

وهنا قضية أخرى نختم بها القول في مخارج الحروف .

اختلف العلماء في عدد مخارج الحروف ، ولهم في ذلك مذاهب ثلاثة .

ذهب الخليل بن أحمد وأكثر القراء والنحويين وتبعهم ابن الجزري الى أنها سبعة عشر مخرجاً على الوضع الذي شرحناه ، والتزمنا به .

وذهب سيبويه والمبرد ، وتبعهما الشاطبي الى أنها ستة عشر مخرجاً .

وذهب الفراء وقطرب والجرمي الى أنها أربعة عشر مخرجاً .

فمن جعلها سبعة عشر ، وزع الحروف على النحو التالي : في الجوف مخرج ، ومن الحلق ثلاثة ، وفي اللسان عشرة ، وفي الشفتين

اثنان ، وفي الخيشوم واحد .

ومن جعلها ستة عشر : أسقط مخرج الجوف ، ووزع حروفه وهي حروف المد على بعض المخارج فجعل الألف مع الهمزة من أقصى الحلق ، وياء المد مع الباء المحركة من وسط اللسان ، وواو المد من الشفتين مع الواو المحركة .

ومن جعلها أربعة عشر : أسقط مخرج الجوف كذلك ، وجعل مخارج اللسان ثمانية بجعله مخرج اللام والراء والنون واحداً .

وقد التزمت في العرض السابق مذهب ابن الجزري ، وهو المشهور عند أهل الأداء والذي سار عليه من قبل الخليل وجمهرة من النحويين والقراء كما ذكرنا[1] .

صفات الحروف

صفات الحروف : كيفية تعرض للحرف عند حدوثه من مخرجه تميزه عن غير كالشدة والرخاوة ونحوهما .

وحروف الهجاء العربي لها صفات متعددة لاحظها العلماء المتمرسون بخصائص الصوت العربي فأوصلها بعض العلماء إلى أربع وأربعين صفة ، ومنهم من نقصها الى أربع عشرة صفة بحذف الإذلاق وضده ، والانحراف واللين ، وزيادة صفة الغنة .

ومنهم من عدها ست عشرة بحذف الإذلاق وضده أيضاً ، وزيادة صفة الهوائي .

---

(١) راجع الكتاب لسيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والنشر لابن الجزري .

واختار العلماء وأهل الأداء مذهب ابن الجزري في عدها سبع عشرة صفة .

والناظر الى هذه الصفات التي أحصاها العلماء يجدها قسمين :

١ ـ قسم منها له ضد ، وهي خمس : الهمس وضده الجهر ، والشدة والتوسط وضدهما الرخاوة والاستعلاء وضده الاستفال ، والإطباق وضده الانفتاح ، والإذلاق وضده الإصمات .

٢ ـ والقسم الآخر صفات لا ضد لها وهي سبع : الصفير والقلقلة والانحراف والتكرير ، واللين ، والتفشي ، والاستطالة .

وإليك بيانها وبيان الحروف التي تتصف بكل منها .

١ ـ الهمس لغة الخفاء ، واصطلاحاً : جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج ، وحروفه عشرة جمعت في قولنا : سكت فحثه شخص .

وبعض حروف الهمس أقوى من بعض ، فالصاد والخاء أقوى من بقية الحروف ، لما لها من بعض الصفات القوية ، وأضعفها الهاء ؛ ليس فيها صفة قوية .

٢ ـ الجهر ، وهو في اللغة الإعلان ، واصطلاحاً : انحباس جرى النفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج ، وحروفه تسعة عشر ، وهي الباقية بعد استثناء حروف الهمس .

وتختلف حروف الجهر فيما بينها في القوة فالطاء أقوى ؛ لأن فيها مع الجهر : استعلاء وشدة .

٣ ـ الشدة: لغة القوة ، واصطلاحاً : انحباس جرى الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج ، وحروفه ثمانية جمعت في

قولهم : (أجد قط بكت) .

والطاء أقوى حروف الشدة لما فيها من الجهر والاستعلاء والإطباق .

ـ والتوسط وهو في اللغة الاعتدال ، واصطلاحاً : اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال انحباسه كما في الشدة ، وعدم كمال جريانه كما في الرخاوة ، وحروفه خمسة جمعت في قولنا : لنعمر .

٤ ـ الرخاوة ومعناها لغة : اللين ، واصطلاحاً : جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج ، وحروفه ستة عشر ، وهي بقية حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الشدة والتوسط .

٥ـ الاستعلاء ، وهو في اللغة : الارتفاع ، واصطلاحاً : ارتفاع اللسان الى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف ، وحروفه سبعة يجمعها قولهم : خص ضغط قظ .

٦ ـ الاستفال معناه : الانخفاض ، واصطلاحاً : انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى إلى قاع الفم عند النطق بالحرف ، وحروفه : اثنان وعشرون ، وهي حروف الهجاء ما عدا حروف الاستعلاء السبعة .

٧ ـ الإطباق وهو في اللغة : الإلصاق ، واصطلاحاً : تلاصق ما يحاذى اللسان من الحنك الأعلى باللسان عند النطق بالحرف ، أو بعبارة أخرى : تلاقي اللسان بما يحاذيه من الحنك الأعلى عند النطق بالحرف ، وحروفه أربعة : الصاد والضاد ، والطاء والظاء وأقواها الطاء ، وأضعفها الظاء (المعجمة) .

٨ ـ والانفتاح بمعنى الافتراق ، ويعنى به في الاصطلاح : تجافى اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف حتى يخرج الهواء من

بينهما ، وحروفه خمسة وعشرون ، وهي حروف الهجاء بعد استبعاد حروف الاطباق .

٩ ـ الإذلاق : هو في اللغة حدة اللسان أي طلاقته وتدفقه في الحديث ، واصطلاحاً : سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان كاللام والراء والنون أو من الشفتين كالفاء والباء والميم ويجمع هذه الحروف قولنا : « فر من لب » .

الإصمات : لغة المنع ، واصطلاحاً : امتناع حروفه من أن يتكون منها وحدها كلمات رباعية أو خماسية ، بدون أن يكون فيها حرف من حروف الذلاقة ، ومن أجل هذا تأتي كلمة رباعية أو خماسية ليس فيها حرف من حروف الذلاقة فهي غير عربية ، كلفظ « عسجد » اسم للذهب ، وحروف الإصمات هي حروف الهجاء مستثنى منها حروف الذلاقة .

١١ ـ الصفير : لغة صوت يشبه صوت الطائر . واصطلاحاً صوت زائد يخرج من الشفتين مصاحباً الحروف الثلاثة : الصاد والسين المهملتين ، والزاي المعجمة ، وهي المعروفة بحروف الصفير ، وأقواها الصاد لما فيها من استعلاء وإطباق .

١٢ ـ القلقلة : هي في اللغة : الاضطراب والتحريك ، واصطلاحاً : اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية ، وحروفها خمسة جمعت في قولنا : قطب جد ، وسبب الاضطراب شدة حروفها لما فيها من الشدة التي تمنع جريان الصوت ، والجهر الذي يمنع جريان النفس .

ولها مراتب ثلاث : أعلاها الطاء ، وأوسطها : الجيم ، وأدناها : الحروف الباقية .

وهناك من يرتبها حسب حالة الحرف لا على حسب نوعه ، فأعلاها : المشدد الموقوف عليه ، ثم الساكن في الوقف ، ثم الساكن وصلا ، ثم المتحرك .

وتلزم القلقلة هذه الحروف حالة سكونها ، سواء أكانت وسطاً أم طرفاً ، مثال المتوسطة (خلقنا) (قطمير) (ربوة) (اجتباه) (يدخلون) والمتطرفة مثل : خلاقْ ـ محيطْ ـ بهيجْ ـ مجيدْ . هذا في حالة الوقف عليها ؛ إذ أن بيانها حال الوقف أولى ، ولا سيما إذا كان الموقوف عليه مشدداً مثل : (جئت بالحقّ) .

١٣ ـ اللين : وهو في اللغة ضد الخشونة ، واصطلاحاً إخراج الحرفة في يسر وبلا كلفة ، وحروفه : اثنان : الواو والياء الساكنان ، المفتوح ما قبلهما نحو : خوف ـ بيت .

١٤ ـ والانحراف لغة : الميل ، واصطلاحاً : ميل الحرف بعد خروجه إلى طرف اللسان ، وله حرفان: اللام والراء . وتلزمهما هذه الصفة لانحرافهما عن مخرجهما ، حتى يتصلا بمخرج غيرهما ، فاللام الى ناحية طرف اللسان ، والراء إلى ظهره .

١٥ ـ والتكرير لغة : الإعادة مرة بعد مرة ، واصطلاحاً : ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف ، وهي صفة تلزم الراء ، والغرض من معرفتها الابتعاد عنها .

١٦ ـ والتفشي لغة : الانتشار والاتساع ، واصطلاحاً : إنتشار الهواء في الفم عند النطق بالشين حتى يتصل بمخرج الظاء المعجمة ، قيل إن هذه الصفة خاصة بالشين وهو الأصح ، وقيل : تشاركها في هذه الصفة : الفاء ، والثاء ، والضاد ، والصاد ، والراء والسين .

١٧ ـ الاستطالة في اللغة : الامتداد ، واصطلاحاً امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان الى آخرها ، وهي صفة الضاد المعجمة .

ملاحظات هامة .

١ ـ هذه الصفات منها صفات قوية وهي اثنتا عشرة صفة : الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والإصمات ، والصفير ، والقلقلة ، والانحراف ، والتكرير والتفشي ، والاستطالة ، والغنة ، وأقواها : القلقلة ، فالشدة ، فالجهر ، فالإطباق ، فالاستعلاء ، فالباقي .

والصفات الضعيفة هي : الهمس والرخاوة والاستفال ، والانفتاح ، والذلاقة واللين والخفاء .

٢ ـ من صفات الحروف الغنة ، وهي لازمة للنون والميم في كل حالاتهما ، والخفاء ، وهي صفة لأربعة أحرف : حروف المد الثلاثة والهاء .

٣ ـ هناك فرق بين المخرج والصفة . . فالمخرج أقرب إلى الكم والمقدار أو المدى العضوي الذي يقع عليه عبء النطق ، وأما الصفة فهي الهيئة التي يظهر بها الحرف عند النطق ، فالمخرج بمثابة الوزن والمقدار ؟ والصفة بمثابة المحك والمعيار .

٤ ـ لكل حرف صفات عدة لا تقل عن خمس ، ولا تزيد عن سبع .

والحرف الوحيد الذي له سبع صفات هو الراء ، فهي : مجهورة ، متوسطة ، مستفلة منفتحة ، مذلقة ، منحرفة ، مكررة .

ومثال ما له ست صفات الباء ، فهي : مجهورة ، شديدة ، مستفلة ، منفتحة ، مذلقة ، مقلقلة .

ومثال ماله خمس صفات الفاء فهي : مهموسة ، رخوة ، مستفلة ، منفتحة ، مذلقة[1] .

---

(١) يرجع في بحث صفات الحروف إلى كتاب سيبويه ج ٢ ص ٤٠٥ ، والمقتضب للمبرد ج ١ ص ١٩٤ وما بعدها مرتين الجزرية ، والإقناع لابن الباذش ، والنشر لابن الجزري .